Uktub: Journal of Arabic Studies
UIN Sultan Maulana Hasanuddin Banten
Vol. 1, No. 1, June 2021, 53-68
p-ISSN 2807-3738 | e-ISSN 2807-341X



Mafhum ash-Shi'r 'inda Qudâmah ibn Ja'far min Khilâl Kitâb "Naqd ash-Shi'r"

Hilda Dimyati Asmara
Universitas Islam Negeri Sunan Kalijaga Yogyakarta
hildamahdiana@gmail.com

Abstract: It is not easy for the student in the present era to define the concept of poetry according to one of the ancients of criticism or creativity. This is because the simplest brick in the concept - which is the definition - has appeared in different forms for many of them; Each world has its own definition, according to their hurricane, culture, and perceptions; Where these definitions varied; Between focusing on meter and rhyme, and between highlighting quantity and quality, and between intent and intention, and between emphasizing systems and imagery. Through these various definitions and entry points, it seems to us how difficult this study lies. To derive the concept of poetry for a critic, creator or poet. Here we are in front of a flag of criticism, trying to define his concept of poetry, and to extract some criteria that make measured speech his poetry. This science is Qudamah bin Jaafar, and our work is based on his book "Naqd al-Sha'ir", "which is considered the first famous scientific critical impact on Arabic literature, Through this research, the researcher tries to present some of the issues raised by Qudama bin Jaafar to define the concept of poetry in his book "Naqd al-Sha'ir".

Keywords: *Literary Criticism, Poetry Criticism, Poetry*

المقدّمة:

إنّ الأدب العربي كان منذ زمن بعيد مزيجاً بنوعٍ من النقد الأدبي، ويعتبر النقد الأدبي فرعاً من فروع الأدب وهو علم يقوم بشرح وتقييم وتحكيم الآثار الأدبية. وفي تعريف آخر للنقد الأدبي تبيين مظاهر الحسن التى سما بها النص الأدبى. وسمات القبح التى قعدت به عن النهوض، ولا يتأتى ذلك إلا بعد دراسة كاملة مستوعبة للفنون الأدبية وتاريخها والمعرفة بأعلامها، والوقوف على مقدار كبير من المأثور منها يمثل نزعات مختلفة واتجاهات متعددة، حتى يكون لتلك الدراسة النقدية فائدتها وجدواها.[١] وكان من موضوعات الأدب أي الكلام المنثور أو المنظوم الّذي يصور العقل والشعور، يقصد إليه النقد شارحاً، محلّلاً، معلّلاً، حاكماً، يعين بذلك القراء على فهم وتقدير النص الأدبي ومضمونه، ويشير إلى أمثل الطّرق في التفكير، والتصوير، والتعبير، وبذلك يأخذ بيد الأدب والأدباء والقراء إلى خير السبل وأسمى الغايات.[٢] يقوم النقد على ركنين مباشرين، هما: النّاقد والمنقود، وهنا سيعرض الكاتب رأي ناقدين مشهورين في النقد الأدبي، هما: رولان بارت، ولوسيان جولدمان.

حيث يرى رولاند بارت، الكاتب والفيلسوف الفرنسي أن عمل الناقد يتسم بعدة خصائص معينة، أهمّها تعقيل الأثر الأدبي تعقيلا تاما، أي النظر إليه وإلى وحداته أو عناصره على ضوء مجموعة من المباديء المنطقية.[٣] بينما يعتقد لوسيان جولدمان الناقد الروماني: بأن الينقد الأدب أولا وقبل كلي شيء هي الدراسة العلمية للأثر، وهذه الدراسة تخصص على فهم وتفسير الأثر تفسيرا مماثلا.[٤] حيث يشرح لنا لوسيان جولدمان بأن المقصود من التفسير المماثل هو استخلاص المميزات الخاصة بالأثر الناتجة من مجموعة من العلاقات منطقية وربطها بالملامح البيئات العامة الكلية للمجتمع.

[١] بدوي طبانة، *قدامة بن جعفر والنقد الأدبي*، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩)،ص.١٢-١١.

[٢] علي أوسط إبراهيمي، *النقد الأدبي الحديث ودوره في الإبداع الأدبي*، (القاهرة: آفاق الحضارة الإسلامية، ٢٠١١)، ص. ١٨٧.

[٣] أميد جيهان بخت ليلى، *معايير النقد من منظار قدامة بن جعفر*، (لبنان: فصلية محكمة، ٢٠١٤)،ص.٣٧.

[٤] أميد جيهان بخت ليلى، *معايير النقد من منظار قدامة بن جعفر...*،ص.٣٨.

كان قدامة بن جعفر من أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية، ووجهوا النقاد والنقد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصر. وكان كتابه (نقد الشعر) أصلا لجميع الدراسات النقدية العربية، لأنه استحدث مذهبا جديدا فيها صار قدامة صاحبه وله الفضل الكشف عنه، وكان لآراء قدامة في كتابه صدى كبير عند النقاد القدماء، بل لقد أحدث ضجة كبيرة في وسطهم، ومن بينهم: الآمدي (٣٧١هـ) ألّف كتابا في (تبيين غلطة قدامة) في كتابه (نقد الشعر).[٥]

ويعتبر (نقد الشعر) أول كتاب لقدامة يؤلف في النقد، وهو يغفل جهود العلماء السابقين في تأصيل قواعد للنقد، كالأصمعي في (فحول الشعراء)، وابن سلام في (طبقات الشعراء)، والجاحظ فيما كتبه في النقد في كتابيه (البيان والتبيين)، وابن قتيبة في (الشعر والشعراء). وقد فصل قدامة في كتابه مذهبه في النقد، فقسّم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة: اللفظ والمعنى والوزن والقافية، وإلى عناصر أخرى مركبة من هذه العناصر. ويذكر قد يكون الشعر رديئا، أو جيدا، أو بين الأمرين. ومن صفات المعنى الجيدة عنده هو الوفاء بالغرض المقصود، أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الاقتصار على الحد الوسط.[٦]

الشعر من الفنون العربية الأولى عند العرب، فقد برز هذا الفن في التاريخ الأدبي منذ قديم العصور إلى أن أصبح وثيقة يمكن من خلالها التعرف على أوضاع العرب، وثقافتهم، وأحوالهم وتاريخهم، إذ حاول العرب تمييز الشعر عن غيره من أنواع اكلام المختلف، من خلال استخدام الوزن الشعري والقافية، فأصبح الشعر عندهم كلاما موزونا يعتمد على وجود قافية مناسبة لأبياته، نتيجة لذلك ظهرت العديد من الكتب الشعرية، والثقافية العربية التي بينت كيفية ضبط أوزان الشعر، وقوافيه، وأشكاله البلاغية التي ينبغي اتباعها واعتمادها عند الإستعارة والتشبيه وغيرها.[٧]

[٥] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٣٤)،ص.٣٥.

[٦] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٤٠.

[٧] محمد غنيم، *تعريف الشعر وفائدته وفضله وعناصره*، (الأردن: ديوان العرب، ٢٠١٦)،ص.٥.

مفهوم آخر للشعر هو كلام يعتمد على استخدام موسيقى خاصة به يطلق عليها مسمى الموسيقى الشعرية، كما يعرف الشعر بأنه نوع من أنواع الكلام يعتمد على وزن دقيق، ويقصد به فكرة عامة لوصف وتوضيح الفكرة الرئيسة الخاصة بالقصيدة. ومن التعريفات الأخرى للشعر هو الكلمات التي تحمل معان لغوية تؤثر على الإنسان عند قراءته، أو سماعه، وأي كلام لا يحتوي على وزن شعري لا يصنف ضمن الشعر.[٨]

فيعود تاريخ الشعر العربي إلى شبه الجزيرة العربية، وتحديدا عصر ماقبل الإسلام إذ حرص العرب على ربط المناسبات والأحداث الخاصة به بالقصائد الشعرية، ومن ثم عملوا على تطوير صورة القصيدة، وكان لهذا التطور نتائجه المهمة والتي مازالت محفوظة في الكتب التاريخية القديمة للشعر العربي.[٩] ومع وصول الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية حافظ الشعر العربي على تطوره، وأيضا ساهم انتشار الإسلام على واللغة العربية خارج الجزيرة العربية في ظهور الشعر الجديد (الشعر الحديث).[١٠]

- **أسلوب قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر":**

إن الأسلوب الذي اتبه قدامة في كتابه "نقد الشعر" يظهر لنا بوضوح مدى سيطرة الروح العلمي وأسلوب التفكير المنهجي وغلبة فلسفة والمنطق على عقله. تفكيره في هذا الكتاب قد اصطبغ بالصبغة المنطقية حينما نراه وقد جعل الحدود والفواصل والأجناس...في تعابيره ومصطلحاته، ومما لا شك هو أن قدامة درس كتابي "الخطابة و "الشعر" لأرسطو واستفاد منهما.[١١]

وقد أفاد من منهج أرسطو في "نقد الشعر" كما في "نقد النثر" إذ نجد في كتابه الأول مايدل دلالة صريحة على ذلك، مثل كلامه في الحد والنوع والجنس والفصل[١٢]، وهي مصطلحات منطقية أرسطية.

[٨] محمد غنيم، *تعريف الشعر وفائدته وفضله وعناصره*، (الأردن: ديوان العرب، ٢٠١٦)،ص.٦.

[٩] نجيب البهبيتي، *تاريخ الشعر العربي*، (مصر: دار الكتب المصرية، ١٩٥٠)،ص. ٤٨-٤٧.

[١٠] نجيب البهبيتي، *تاريخ الشعر العربي*...،ص.٤٨.

[١١] إبراهيم سلامة، *بلاغة أرسطو بين العرب واليونان*، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢)،ص.١٦٨.

[١٢] إبراهيم سلامة، *بلاغة أرسطو بين العرب واليونان*...،ص.١٦٩.

إضافة إلى النزعة إلى الفلسفة والفلسفة قد انعكست في عقله وتفكيره واضحا جليا، ومن جراء ذلك نشاهده وقد استعان بأسلوب في النقد لا يمكن فهمه وتبريره إلا بفضل الترتيبات العلمية والدراسات الفلسفية، ناهيك عن قواعد النقد التي قررها، وقد بدا في معظمها متأثرا ومعتمدا على مبادئ النقد الفكري اليوناني خصوصا عند أرسطو، وماحصل عليه في المنطق اليوناني طبّقه على الشعر، وحدّد منهجا في النقد.[١٣]

على أي حال فإن قدامة بمنهجه العقلي في النقد يباين مناهج النقاد العرب الأصلاء، من مثل: الأصمعي، وابن الأعرابي، وابن سلام، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن المعتز وغيرهم. وإن هذا المنهج الذي وضع قدامة أساسه يمثل خطوة واسعة نحو تدويم البلاغة العربية وأصول البيان والنقد.[١٤]

وحسبنا أن ثلاثة من كبار نقاد العرب أولوا منهجه عناية خاصة وتأثروا به تأثرا عميقا، وهم: أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين، ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة"، ابن سنان الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة"، كما تأثر علماء البلاغة والبديع تأثرا شديدا بقدامة وآرائه في "نقد الشعر" منهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والآخرون.[١٥]

إن هذه المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة، صار حديث النقاد في عصره وبعد عصره. إن منهج قدامة النقدي في كتابه (نقد الشعر) يعتبر ثورة فكرية عميقة ظهر صداها في تراثنا النقدي، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد من بعده ولا يزال صداه وصدى فكره النقدي قويا وسائدا في تراثنا النقدي حتى اليوم.[١٦]

- **منهج قدامة بن جعفر للشعر في كتابه "نقد الشعر":**

[١٣] إبراهيم سلامة، *بلاغة أرسطو بين العرب واليونان...*،ص.١٧٠.

[١٤] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٢٥.

[١٥] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٢٦.

[١٦] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٢٧.

ينطلق قدامة من تعريفه للشِّعر إلى حَصر العناصر الأولية التي يتكوَّن منها الشعر، وهي: اللفظ والوزن، والقافية والمعنى. حيث يرى قدامة أن الشعر مثله مثل الصناعات الأخرى يعتوره طرَفان؛ الطَّرَف الأقصى هو الجودة، والطرف الأدنى هو الرَّداءة، وبين هذين الطرفين تأتي حال التوسط بين الجودة والرداءة.

كما ذكر في كتابه "إذ كان الشعر أيضا جاريا على سبيل سائر الصناعات، مقصودا فيه وفي مايحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته...فلنذكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ماقدمناه من شريط الصناعات، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها".[١٧]

وهو عندما يحدد تعريفًا للشعر ينظر في هذه العناصر المذكورة بطريقة شكلية محضة، فيحدد الصفات التي يصل الشعر بها إلى أقصى درجات الجودة، ثم يحدِّد بعد ذلك العيوب التي بها ينحدر الشعر بها إلى أدنى درجات الرداءة.

فيرى قدامة أنه يمكن إحداثُ تراكيبَ وائتلافٍ بين هذه العناصر الأربعة للشعر على هذا النحو:

١. اللفظ مع الوزن
٢. اللفظ مع المعنى
٣. الوزن مع المعنى
٤. القافية مع المعنى

[١٧] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٦٥.

حيث ذكر في كتابه "إنه لما كانت أسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر على ماقدمنا القول فيه أربعة، وهي: اللفظ، والمعنى، والوزن، والتقفية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف، إلا أني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الآخر ائتلافا، إلا أني نظرت فيها فوجدتها من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلافا مع سائر البيت فإما مع غيره فلا لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر".[١٨]

- **موقف النقاد تجاه كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر:**

اختلف العلماء في موقفهم وآرائهم تجاه متاب "نقد الشعر" الذي ألفه قدامة بن جعفر، والذي أحدث ضجة وسط النقاد والأدباء في عصره وعصر مابعده وإلى يومنا هذا، ومن بين موقفهم كالتالي:

١. منهم من أثنوا عليه وتصدَّوا لنُصرته، وذلك من أمثال عبداللطيف البَغدادي في تأليفه "كشف الظُّلامة عن قدامة"، وابن أبي الإصبع في كتابه "الميزان".

٢. منهم من رفضوا رأيه الذي تبنَّاه في كتابه مثل الآمدي، وألف كتابًا سماه "تبيين غلط قدامة"، وابن رَشيق في كتابه "تزييف نقد قدامة".

٣. ومن النُّقاد – فيما يبدو لنا – من كان لهم اتجاهٌ وسطي؛ لأن هذا الكتاب بناءٌ هندسي انشغل أولاً بتقسيم الأجزاء والأركان، فبعد أن أتم هذا التقسيم ملأ هذه الأركانَ بنقد الشعر.

[١٨] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٦٩.

ومن أحد موقف النقاد أيضا وكان التوحيدي قد عابه لعدم قدرته على التصرف بالكلمة ضمن الجملة مما يحدث ضعفًا وركاكة في الأسلوب، وقال فيه "ولكنى وجدته هجين اللفظ، ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كان ما يصفه ليس ما يعرفه"، وقد أعاد ياقوت الحموي هذه الحال إلى أثر المنطق الذي ظهر لائحا على أسلوبه.[١٩]

ومِن هنا يتبين لنا العيب الرئيسي في كتاب قدامة بن جعفر؛ حيث أن كتابه عن نقد الشعر بعيدًا عن الشعر، فهو لم يقم بنقده للعمل الشعريّ انطلاقًا مما توجبه الظاهرة نفسها، ولكنه أقام بناء نقديًّا بعد ذلك أقحَم فيه الشِّعر، ولعل هذه العملية ناتجةٌ عن تأثُّره بالفلسفة والمنطق. إن هذه المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة، صار حديث النقاد في عصره وبعد عصره. إن منهج قدامة النقدي في كتابه (نقد الشعر) يعتبر ثورة فكرية عميقة ظهر صداها في تراثنا النقدي، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد من بعده ولا يزال صداه وصدى فكره النقدي قويا وسائدا في تراثنا النقدي حتى اليوم.[٢٠]

- **مفهوم الشعر عند قدامة بن جعفر:**

إن قدامة أولى أهمية كبرى في تعريفه للشعر؛ حيث يؤلِّف عنده مدخلاً يضبط تصوره المعياري، لمعرفة جيد الشعر من رديئه، ويرى أن الأمر لم يكن واضحا لدى الناس، ومن هنا ينطلق لتأسيس نظريته النقديَّة؛ ليعرف الشعر وليجعل له مقياسًا تمييزيًّا؛ فالحكم على شيء فرع عن تصوره. ففي مفهوم قدامة عن الشعر "أن أول ما يُحتاج إليه في العبارة عن هذا الفنِّ معرفةُ حدِّ الشعر الحائز له عمَّا ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغُ ولا أوجزُ – مع تمام الدلالة – مِن أن يُقال فيه: إنه قولٌ موزون مقفًّى يدلُّ على معنً".[٢١]

[١٩] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٤٥.

[٢٠] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٥٥.

[٢١] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٦٤.

وفي كتاب آخر فإن تعريف الشعر لقدامة بن جعفر الذي يقول فيه " إنه قول موزون مقفى يدل على معنى " ١، فهذا يحلنا إلى أصول ودعائم الشعر عنده كما هي عند غيره اللفظ والمعنى و الوزن و القافية، التي يسميها أجناسا مفردة و يركب منها أربعة أخرى مؤتلف منها هي " ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، و ائتلاف المعنى مع الوزن، و ائتلاف المعنى مع القافية ".[٢٢]

فكان شرح هذا التعريف:

فقولُنا: (قول) دالٌّ على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشِّعر.

وقولنا: (موزون) يَفصِله مما ليس بموزون؛ إذ كان من القول موزونٌ وغير موزون.

وقولنا: (مقفًّى) فصلٌ بينَ ما له من الكلام الموزون قوافٍ، وبين ما لا قوافيَ له ولا مَقاطع.

وقولنا: (يدل على معنى) يَفصل ما جرى من القول على قافية ووزنٍ، مع دلالةٍ على معنًى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريدٌ أن يَعمل من ذلك شيئًا على هذه الجهة لأمكَنه وما تعذَّر عليه".[٢٣]

- **معايير الجودة في الشعر:**

هذه المعايير عبارة عن شرائط تشمل كل ما هو لفظي؛ من كلمة وتركيب، ووزن وقافية، وما هو معنوي؛ من شكل القصيدة والتحام الأجزاء، والتزامِ النعوت واجتنابِ العيوب .وإذا أنعَمنا النظر في هذه المواصفات كلها، يمكن لنا تقسيمُها إلى نوعين رئيسَين، منه نوعٌ متعلق بالشكل، وآخر متعلق بالمعنى.

[٢٢] محمد زغلول سلام، *تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري*، (مصر: الناشر للمعارف الإسكندرية، ٢٠٠٩)،ص.٢١٨.

[٢٣] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٦٦.

- عناصر الجودة الشكلية

١. نعت اللفظ: أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة.[٢٤] ومثال على ذلك أبيات من تشبيب قصيدة للحادرة الذبياني:

وتصدقت حتى أستبتك بواضح   صلت كمنتصب الغزال الأتلع
وبمقلي حوراء تحسب طرفها   وسنان حرة مستهل المدمع
وإذا تنازعك الحديث رأيتها   حسنا تبسمها لذيذ المكرع
كقريض سارية تتفح الصبا   بنزيل أسحر طيب المستنقع[٢٥]

٢. نعت الوزن: أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر نعوت الشعر، وجعل من نعوت الوزن: الترصيع؛ أي: تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على السجع، أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف.[٢٦] منها قصيدة حسان:

ما هاج حسان رسوم المقام   ومظعن الحي ومبنى الخيام
والنؤى قد هدم أعضاده   تقادم العهد بواد تهام
قد أدرك الواشون ما أملوا   فالحبل من شعثاء رث الزمام
كأن فها ثغب بارد   في رصف تحت ظلال الغمام[٢٧]

[٢٤] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٧٤.
[٢٥] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٧٤.
[٢٦] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٧٨.
[٢٧] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٧٨.

٣. نعت القوافي: أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وكذلك جعل من نُعوتها التَّصريع وهو إلحاق العَروض بالضَّرب وزنًا وتَقفية، سواءٌ بزيادة أو نقصان.[٢٨] ويرى قدامة أن امرأ القيس أكثر من يستعمل ذلك، فمنه قوله:

قفى نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات، فقال:

أفاطم مهلا بعد هذا الدلل   وإن كنت قد زمعت صرمى فأجملي

ثم أتى بأبيات بعد هذا، فقال:

ألا أيها اللي الطويل ألا انجلي   بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقال في قصيدة أخرى أولها:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي   وهل ينعمن من كان في العصر الحالي[٢٩]

- عناصر جودة المعنى

١. صحة المعنى: وضع كلمات في قوالب ملائمة للمحل والحال، فعلى الشاعر مراعاة نفسية المتلقي، وأن يتجنب الإحالة والإغراق المفضيين إلى التشويش على المتلقي، وعدم تمكن المعنى من ذهنه. فكلما أغرَب الشاعر في معانيه، وابتعد عن الواقع بمسافة بعيدة، وقع في الإحالة، وابتعد عن الصحَّة.

٢. التناسب الغرضي: ويعني به مطابقة الغرَض للمعنى، واختيار الألفاظ التي تلائم الغرض الذي يقول فيه، وتتسم بالابتكار، والسبك الجيد.

[٢٨] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٨٦.

[٢٩] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.٨٦.

٣. المبالغة والغلو: فهذا القسم له علاقة وطيدة بأخوَيه؛ ولذا لم آتِ بمثالٍ لهما، ومن خلال المعالجة لهذه الظاهرة ستتضّح هذه العلاقة. والمبالغة والغلوُّ مرتبطة بالصِّدق والكذب في الشعر.

- **معايير الرداءة في الشعر**

والمقصود منها مخالفة الشاعر قوانين الجودة وشرائطها، وهذه المعايير تسمى بالعيوب؛ فمنها ما هو متعلق باللفظ، ومنها ما هو متعلق بالمعنى.

– عناصر العيوب اللفظية

١. عيوب اللفظ: أن يكون ملحونا وجاريا على سبيل الإعراب واللغة، وأن يَرتكب الشاعرُ فيه ما ليس يُستعمل ولا يُتكلَّم به إلا شاذا.[٣٠] ومن عيوب اللفظ هي (المعاظلة) وهي التي وصَف عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه زهيرًا بمجانبَتِه لها أيضًا؛ حيث قال: وكان لا يُعاظِل بين الكلام.[٣١] ومثال على ذلك قول أوس:

وذات هدم عار نواشرها　　　　تصت بالماء تولت جذعا

(فسمي الصبي تولبا وهو ولد الحمار)

ومثال قول آخر:

ومارقد الوالدان حتى رأيته　　　　على البكر يمتريه بساق وحافر

(فسمي رجل الإنسان حافرا فإن ماجرى هذا المجرى من الإستعارة قبيح لا عذر فيه)[٣٢]

[٣٠] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٧٢.

[٣١] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٧٤.

[٣٢] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٧٥.

٢. عيب الوزن: ومن عيوبه وهو الخروج عن العروض أي أفرط في تزيحفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله إلى الإنكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له، حيث يعرف هذا العيب بمسمى (التخلع).[٣٣] وذلك مثل قول الأسود بن يعفر:

إذا ذمننا على ماخيلت سعد بن زيد وعمرو من تميم

وضية المشتري عار بنا وذاك عم بنا غير رحيم

لا ينتهون الدهر على مولى لنا قولك بالهم حافات الأديم

ونحن قوم لنا رماح وثروة من موال وصميم.[٣٤]

٣. عيب القافية: إن الحديث عن هذا العيب هو المعايب التي وضعت في كتب العروض، ولن نطول الكلام في ذلك، وكذلك هناك عيب يدرس حركة الروي وحرفه، ومنه ما يهتم بحرف ما قله، وبحرف ما بعده، وبعبارة أخرى اللوازم القبلية واللوازم البعدية، فمن ذلك (التجميع) وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيئ لأن تَكون قافية آخر البيت، فتأتي بخلافه.[٣٥] مثل ماقال عمر بن شاس:

تذكرت ليلى لات حين ادكارها وقد جنى الأصلاب صلا بتضلال

ومثل قول الشماخ:

لمن منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها[٣٦]

[٣٣] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٧٨.

[٣٤] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٧٨.

[٣٥] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٨١.

[٣٦] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٨١.

ومن عيوب القافية أيضا (الإقواء) وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلا وأخرى مخفوضة وهذا في شعر الأعراب كثير جدا.[٣٧] مثل قول سحيم بن وثيل الرياحي:

عذرت البزل إن هي خاطرتني   فما بالي وبال ابن اللبون

وماذا تبتغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الأربعين.[٣٨]

- عناصر عيوب المعاني

وعيوب المعاني يمكن اعتبارها نوعين؛ فالنوع الأوَّل أن يكون المعنى مواجهًا للغرض، غير عادل عنه إلى جهة أخرى، والآخر هو تناسب الألفاظ فيما بينها.

١. فساد الأقسام: وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر، أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما في الآخر في المستأنف، وأن يدع بعضها فلا يأتي به.[٣٩] مثال على ذلك التكرير في قول هذيل الأشجعي:

فما برحت تومي إلي بطرفها   وتومض أحيانا إذا خصمها غفل

(فلماذا عاب ابن جعفر هذا البيت؛ لأن (تومض) و(تومي) بطَرْفها متساويانِ في المعنى)

ومثال دخول أحد القسمين في الآخَرِ قولُ الشاعر:

أبادر إهلاك مستهلك   لما لي أو عبث العابث

(فالعيب هنا هو أن عبث العابث دخَل في إهلاك المستهلك)

[٣٧] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٨١.

[٣٨] قدامة بن جعفر بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، *نقد الشعر...*،ص.١٨٢.

[٣٩] العياشي السنوني، *مقومات الرؤية النقدية عند عند أبي علي المرزوقي*، (بيروت: إس إن الناشر، ٢٠٠٧)،ص.١٩٢.

٢. فساد المقابلات: وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخَر إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه[٤٠]، ومثل ذلك قول أبي علي القرشي:

يابن خير الأخيار من عبد شمس　　　　أنت زين الدينا وغيث الجنود

(فيرى ابن جعفر قوله: "زين الدنيا وغيث الجنود" عيبًا؛ لأنهما لا يوافقان ولا يضادان)

٣. مخالفة العُرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع.[٤١] ومن هذا قول الحكم الخضري:

٤. مانت بنو غالب لأمتها　　　　كالغيث في كل ساعى يكف

(فليس المعهود أن يكون الغيث واكفًا في كل ساعة)

الخاتمة:

في النهاية حاولت الباحثة عرض بعض القضايا التي أثارها قُدامة بن جعفر؛ لتحديد مفهوم الشعر، وإبراز تصور عام ملخص فيما يستحسن في الشعر وما يستقبح. كما هي الحال في كل صناعة لا بد من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة، وعلى الشاعر إذا شرع في أي معن أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة. وإذا كان الموقف السالف يفسح المجال للشاعر لينتقي المعنى الذي يريد، كأن يصور تجربة شخصية أو يقصد في المدح إلى الوصف بخلاف المعاني النفسية التي رسخها قدامة. وما دام تنوُّع الأغراض كثيرًا فإنه يَستتبعه تنوُّع المعاني وتفاوُتها، وحتى لو حدَث أنْ كان الوصفُ مخالفًا لمقتضى الغرض. وفي الأخير نشير إلى أن إحساس قدامة بتلاحم المادة وصورتها هو الذي هيأ لبحث ائتلاف عناصر النص، مع دَرسه كلا منها على حدَة، حسب ما حدَّده منهجُه الخاص.

[٤٠] العياشي السنوني، *مقومات الرؤية النقدية عند عند أبي علي المرزوقي*...،ص.١٩٣.

[٤١] العياشي السنوني، *مقومات الرؤية النقدية عند عند أبي علي المرزوقي*...،ص.٢٠٣.

المراجع

البهبيتي، نجيب، تاريخ الشعر العربي، (مصر: دار الكتب المصرية، ١٩٥٠).

السنوني،العياشي، مقومات الرؤية النقدية عند عند أبي علي المرزوقي، (بيروت: إس إن الناشر، ٢٠٠٧).

إبراهيمي، أوسط،علي، النقد الأدبي الحديث ودوره في الإبداع الأدبي، (القاهرة: آفاق الحضارة الإسلامية، ٢٠١١).

جعفر بن قدامة، بتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، نقد الشعر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٣٤).

سلامة،إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢).

سلام،زغلول، محمد، تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، (مصر: الناشر للمعارف الإسكندرية،٢٠٠٩).

طبانة،بدوي، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩).

غنيم،محمد، تعريف الشعر وفائدته وفضله وعناصره، (الأردن: ديوان العرب، ٢٠١٦).

ليلى،جيهان بخت، أميد، معايير النقد من منظار قدامة بن جعفر، (لبنان: فصلية محكمة، ٢٠١٤).